ثم كانت أشد الأزمات في عام ١٩٤٨ ، وقد اضطر الموظفون في فرعي يافا وحيفا الى حمل السجلات والودائع والخروج بها ، ولما أعيد فتح فرع حيفا في بيروت ثم في عمان ، وأعيد فتح فرع يافا في نابلس ثم في رام الله ، أقبل المودعون على سحب أموالهم وودائعهم ، فأعطيت لهم .

ولم تكن تجربة فرع القدس بأقل خطرا ، فقد انتقل البنك اثناء المعارك الى مكتب وراء السور ، واثناء الهدنة الاولى خاطر بعض الموظفين بأرواحهم للحصول على الاوراق والمستندات ، وعادوا بها فعلا مع خمسة عشر الف جنيه بالعملة الفضية(١٨).

والواقع ان اقدام البنك على دفع الاموال لاصحابها لم يكن عملية سهلة ، فالبنك ما استطاع تخليص أكثر من الثلثين مما كان لديه أصلا من أموال وودائع . بالاضافة الى ان المديونين قد فقدوا موجوداتهم . ولولا ان البنك قائم من البداية على أسس متحفظة ، وعلى سياسة السيولة العالية ، لما كان بالامكان فعلا ان يدفع كل ما دفعه . وقد جرى هذا في الوقت الذي أحجمت فيه البنوك الاخرى عن الدفع ، والفلسطيني المشرد في أشد الحاجة لامواله . بنك باركلس والبنك العثماني كانا يرفضان الدفع ، فلجأ المودعون الى المحاكم ليحصلوا على حقوقهم ، وعلى الرغم من ذلك فان بنك باركلس — فرع نابلس ، لم يدفع شيئا لاحد الا بعد مرور سنوات .

مساهمته في تحسين اوضاع الفلسطينيين

كان من الطبيعي أن يتعثر البنك لسنة او سنتين ، ولكنه منذ عام ١٩٥٠ أخذ يتوسع من جديد ، وأخذت أسهمه تسترد قيمتها تدريجيا حتى ارتفعت من جنيه الى سبع جنيهات ، وبانتعاش البنك ماليا من جديد انتعشت جميع العائلات الفلسطينية التي كانت تعيش من أسهمها او من ايرادها .

وكان من الطبيعي جدا ان يطرق الفلسطينيون أبواب البنك العربي حيثما وجد ووجدوا . ولم يخيب عبد الحميد شومان أمل واحد منهم جدير بالعمل ، فوظف في فروعه مئات الموظفين والمدراء الفلسطينيين ، ومن خلال المدراء توظف في الخليج بالذات عدد كبير .

كان هذا كله في اوائل الخمسينات ، عندما لم يكن « للاجئين » من مؤسسة واحدة تعترف بهم كمواطنين . ولم يكن بامكان البنك العربي مهما امتدت فروعه وتشعبت ، ان يستوعب مأساة شعب ، ولكنه استطاع على الاقل حماية ورعاية كل من عاش في رحابه . لم يشعر الموظف الفلسطيني فيه بالغربة ، لقد شعر انه لا يزال في ارضه . ان هذه المؤسسة الضخمة بانتقالها وصمودها على الرغم من ضياع البلد ، وانهيار الجيوش ، وموت الضمير ، بقيت خير سفارة لفلسطين ، وقطعة منها(١٩).

مساهمة شومان في الحقل الوطني

من الصعب فعلا ان نفصل بين الاعمال الاقتصادية والاعمال الوطنية لهذا الرجل الكبير ، وان جاز لنا التعبير ، ورددنا ما قاله فؤاد سابا من ان شخصيته قد تجلت وتبلورت في وطنيته الاقتصادية ، فاننا لا نستطيع ان نتجاهل ان شومان كانت له اعماله الوطنية المحضة ، وتبرعاته التي لم تكن اقتصادية ابدا ، وانما على العكس من ذلك كانت مبنا على مؤسسته المصرفية ، وعلى زملائه أعضاء مجلس الادارة .

وربما يقول البعض ان شومان كان يربح من وراء التبرعات الوطنية السخية في المناسبات الشهرة للبنك العربي ، ولكننا من باب الانصاف يجب ان نعود الى الوراء ، الى العشرينات ، ويوم كان شومان مهاجرا ، ويوم كان البنك العربي حلما في الغيب .

سمع وهو في المهجر بانشاء اللجنة المركزية لاعانة منكوبي سوريا ، وهذه اللجنة أسسها وترأسها رئيس المجلس الاسلامي الاعلى عام ١٩٢٧ من أجل دعم الثورة العربية السورية سرا ، ومساعدة عائلاتها المنكوبة واطفالها « غزلان الصحراء » علنا . وكان شومان من أكثر المتبرعين حماسة ، ومن هنا نشأت صداقته بالامير عادل ارسلان ، الذي كان يسكن عمان آنذاك ، وكان صلة الوصل بين القدس ، وبين رجال الثورة في صحراء النبك ووادي السرحان .

وفي اضراب ١٩٣٦ ، قام شومان بحملة تبرعات كبيرة بين الموظفين في فلسطين ، فجمع منهم في اسبوعين ستة آلاف جنيه ، ولا شك في ان مناصرته للحركة الوطنية بقوة وعلانية أدت الى اعتقاله